قراءة في المعاجم العربية القديمة والحديثة
من المعجمية العامة إلى المعجمية المتخصصة

Reading in ancient and modern Arabic dictionaries
From general lexicography to specialized lexicology

عبد الرحمن زاوي

[1] **جامعة المدية (الجزائر)**، zaoui.abderrahmane@univ-medea.dz

تاريخ الارسال2023/01/01.	تاريخ القبول2023/04/05.	تاريخ النشر2023/04/15.

الملخص	**Abstract**
نود توضيح بعض المسائل المتعلقة بصناعة المعجم عند العرب قديما وحديثا من خلال محاولة التطبيق على معجم من التراث والمتمثل في معجم مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعجم معاصر ويتمثل في معجم تحليل الخطاب، يتضمن شقين مهمين هما العمل المعجمي والترجمة أي ترجمة المصطلح العلمي الخاص بتحليل الخطاب. تفرض الترجمة في كثير من المجالات إشكالية مهمة، تتعلق غالبا بالثقافة وباختلاف الاستعمال.	Through this research paper, we would like to clarify some issues related to the lexicographical craft among ancient and modern Arabs, by trying to see any reflection thereof in a classical Al-Khwarizmi's Muftah al-Ulum Dictionary and a Contemporary Dictionary, translated from French into Arabic, represente.

كلمات مفتاحية: الترجمة; التعريب; الدخيل; المعاجم; المصطلح.	**Keywords** translation; localization; intruder; dictionaries; term.

عبد الرحمن زاوي، zaoui.abderrahmane@univ-medea.dz

1.مقدمة:

مثلت صناعة المعاجم أحد أوجه جمع اللغة وتنظيم علومها إبان مرحلة التدوين، ولم تكن هذه الصناعة لتخرج عن الهدف الذي توخته عملية التدوين عموما، إذ كان الحفاظ على التراث اللغوي العربي في مستوى معجمه، إحدى أولويات التحصين من الدخيل لفظا وفكرا، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب الريادة في هذا المجال من خلال كتابه معجم العين حيث يعد أول معاجم اللغة العربية التي قدمت لنا مادة معجمية مصنفة ومضبوطةّ، جعلها علماء المعاجم بعد الخليل، كمنطلق أساس في تصنيفهم لمعاجمهم المطولة مثل معجم لسان العرب وتاج العروس والصحاح.

ولا أحد ينكر أن ما قدمه القدامى من علماء اللغة العرب يعد ثمرة جهد بليغ وهو أحسن وأنضج مما نجده في الحضارات الأخرى، ومنذ الانطلاقة الأولى في القرنيين الأولين للهجرة والتي بدأت بجمع مفردات اللغة العربية ومحاولة تصنيفها ثم إخراجها في شكل مدونات معجمية، لم يتوقف هذا العمل، مما خلف لنا تراثا متنوعا من المعاجم ذات الأحجام المختلفة والموضوعات المختلفة. وإن عرفت بعض الفتور خلال العصور التي تنعت عادة بالتخلف والانحسار، ومع النهضة الحديثة التي كانت خطواتها الأولى في العالم العربي مع بدايات القرن التاسع عشر ميلادي، نهج فيها أصحاب صناعة المعاجم في عملهم قصد سد النقص والركود الذي ميز هذه الصناعة أمدا طويلا.

بدأ البحث المعجمي في العصر الحديث على يد بعض اللبنانيين وذلك في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وإن ذكر بعض الدارسين أن البدايات الأولى لهذا العمل كان نهاية القرن الثامن عشر على يد "جرمانوس فرحات ت 1732م" الذي سمى معجمه "الإعراب على باب الإعراب" وقد طبع للمرة الأولى بمرسيليا سنة1849م، مع العلم أن هذه الأعمال جاءت عبارة عن محاولة لإحياء وتصحيح المعاجم القديمة، كذلك فعل بطرس البستاني ت1883م وهو صاحب معجم "محيط المحيط"و" قطر المحيط"، ثم جاء بعده "أحمد الشدياق" وهو أول من دعا إلى التجديد في الأسس المعجمية، والاهتمام بالمعجم وقضاياه، وكذلك فعل سعيد الشرتوني "ت1912" صاحب أقرب الموارد، وعبد الله البستاني "ت 1930" صاحب معجم "البستان " وبعده "بستان البستان" وقد عملت عوامل مختلفة في ريادة هؤلاء للعمل المعجمي. من خلال إنشاء قواميس لغوية كثيرة حاول أصحابها قدر الاستطاعة تلافي العيوب المنهجية التي وردت في القواميس القديمة، وتيسير المشقة على القارئ وتطعيم المادة المعجمية بألفاظ جديدة اقتضتها ظروف المرحلة، لأن المقام في هذه الأحوال لا يسمح بالاستعراض كل ما أنتج من قواميس لغوية ابتداء من مطلع النهضة الحديث ومحاولة تقويمه وإبراز مزاياه ومساوئهّن ولكن يكفي أن نقول أن أهم هذه

القواميس اللغوية التي ظهرت خلال قرن ونصف حيث يمكن اعتبارها محطات أساسية في تطور هذه الصناعة بالعصر الحديث، نظرا لقيمتها وإضافاتها العلمية وشهرتها وكثرة تداولها، حيث تكاد تكون محصورة في الكتب الأربعة الآتية وهي، حسب ترتيبها التاريخي:

محيط المحيط للبستاني 1886م
المنجد لليسوعي 1908م
المعجم الوسيط 1960م
المعجم العربي الأساسي 1989م

وفي القرن الواحد والعشرين " المنجد في اللغة العربية المعاصرة ومعجم اللغة المعاصرة.

والأول من القواميس الأربعة فقد استقى أغلب مادته من القاموس المحيط للفيروز أبادي وأعاد ترتيب مواده، وأعاد ترتيبها، حيث نجده اتبع في تعريف مداخلها طريقة أسهل وأقل تعقيدا. مع إضافة عدد لا بأس به من الألفاظ الحديثة والمولدة.

أمّا الثاني فهو قاموس للطلاب أكثر من أن يكون قاموسا موجها للنخبة من المثقفين، وقد اعتمد صاحبه الشرح والتعريف والحرص على إدخال الألفاظ المستحدثة واستعمال الصور والرسوم التوضيحية بشكل مكثف بشكل لم يكن موجودا من قبل، وإن كان غير جديد على القواميس العربية.[1]

وهنا نطرح إشكالية عامة فنقول هل استطاعت المعاجم العربية المتخصصة مواكبة التطور الحضاري الحاصل خاصة فيما يتعلق بالمصطلح العلمي، وهل يمكننا التنبؤ بمعجم عربي متجدد يلبي حاجيات القارئ العربي للاستغناء عن استعمال اللفظ الأجنبي؟

2. المعاجم التراثية

معجم الوسيط لمجمع اللغة العربية:

يأتي المعجم الوسيط الذي يعتبر قاموسا حقق قفزة كبيرة من حيث التقنيات المستخدمة في إخراجه ومن حيث المادة المعجمية ونوعيتها وكذا باعتباره أول قاموس في تاريخ اللغة العربية اجتمع على تأليفه مجموعة من المؤلفين، فقد صدر هذا القاموس عن المجمع اللغوي في القاهرة، ومن مميزاته أنه وضع ضوابط صارمة ومنطقية لترتيب المداخل مع بعض التجاوزات التي منها إدخال قدر لا باس به من الألفاظ الحديثة المولّدة والمعرّبة التي أقرّتها المجامع اللغوية والهيئات العلمية المتخصصة، وكذا الاستغناء عن عدد من الألفاظ المهملة والميتة، ومتابعة طريقة المنجد في استعمال

الصور التوضيحية. إلا أن المادة التي يتشكل منها هذا القاموس تعد ضئيلة مقارنة بما هو مستجد في الحياة من ألفاظ وفي جميع المجالات.[2]

أما الرابع فهو يتميز بأنه أضاف الكثير من الألفاظ والاستعمالات الحديثة ولغة الصحافة التي أغفلها المعجم الوسيط وأولى أهمية لافتة للتراكيب والتعبيرات السياقية، وخصص جزء كبيرا من مداخله للمشتقات التي كانت عادةُ القواميس السابقة أنها تكتفي بإدراج أغلبها ولاسيما القياسية منها ضمن مداخل الأفعال.

ومن جانب آخر يعتبر هذا الكتاب ثاني قاموس أحادي اللغة بعد المعجم الوسيط الذي أشرف عليه مجموعة من الخبراء حيث تولت إصداره الهيئة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي انتخبت لإنجازه جماعة من المتخصصين في المعجم. وكان الهدف الأسمى من تأليف هذا القاموس هو الحاجة في إنتاج قاموس موجّه أساسا للناطقين بغير العربية والراغبين في تعلمها، وليس للمتقدمين والمتمكنين منها، مما جعل المدونة تقتصر أساسا على قدر محدود من المداخل فلم يتجاوز عددها عشرين الفم دخلن بما فيها أسماء الأعلام والجغرافيا العربية والأجنبية وأيضا المشتقات المكررة أو بعبارة أخرى اقتصر أصحاب هذا القاموس على ما اعتبروه ألفاظا أساسية ووظيفية في العربية الحديثة، ولذلك أسقطوا كثيرا من الألفاظ والاستعمالات القديمة، وكثيرا من المدلولات التي يعتقد أن هذا النوع من القراء ليسوا في حاجة إليها.

1.2 المعجم العربي ومواكبة العصر:

أكبر ما تعانيه هذه المعاجم التي ذكرنا بعضا منها افتقارها لعمليات التجديد والتحديث كما هو الحال بالنسبة للقواميس في أوربا حيث يتم إصدار الطبعات التنقيحية الواحدة تلوَ الأخرى لتحيين مادتها ومحتواها بشكل دائم ومستمر قصد مواكبة التطور اللغوي بالزيادة والنقص والتهذيب والتدقيق والتصويب والمراجعة، وكل هذا نظرا لما عرفته العربية ولازالت تعرفه من تطور في الألفاظ في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية...بدءا من عصر النهضة إلى يومنا هذا.

وخاصة في أيامنا هذه مع اكتساح العولمة وما صاحبها من أدوات وآليات، وكل ذلك له انعكاساته وتأثيراته على اللغات ومنها العربية، فاللغة هي الأداة التي يعتمد عليها في التعبير عن هذه المبتكرات واستيعاب التدفق الهائل للمعلومات والمصطلحات والأفكار والنظريات. فهل حققت معاجمنا هذا الهدف؟

ونريد هنا الاستشهاد من خلال المعجم الوسيط فبالرغم من مزاياه العديدة فإنه وللأسف لم يعد ذلك القاموس الذي يحقق التمثيل الجيد للمرحلة الجديدة وخاصة وأنه صدر عن هيئة معروفة، فما يؤاخذ عليه هذا المعجم في مجال المعلوماتية والاتصال الألفاظ والتراكيب الآتية سواء منها ما كان رائجا حين صدوره أو بعده، لكن لم يتم تداركه وتحيين القاموس على أساسه.

المعلومة/المعلومات/ المعلوميات/ علوم الاتصال والتواصل، مواصلات وسائل الاتصال، شبكة الاتصال، وسائل الإعلام، السمعي البصري، الوسائط الإعلامية، الحاسوب أو الكمبيوتر، برامج الحاسوب، برمجة، تحليل النظم، برمجيات، القرص المحلي، القرص الصلب، القرص المدمج، القرص المرن، القرص القابل للإزالة، طابعة الحاسوب، لوحة الحروف أو المفاتيح، الفأرة...والكثير من الألفاظ التي تدخل ضمن هذا الحقل فقط. فما بالك بالمجالات الأخرى والحقول المختلفة التي تتجدد فيها الألفاظ يوميا ولابد من مواكبتها.

"إنّ المشكل الذي ينبغي أن يطرح اليوم بالنسبة إلى اللغة العربية لا يتمثل في مدى قدرتها على استيعاب مفاهيم الحضارة الحديثة ومواكبتها ما يبتكره العلم بسرعة خارقة وتوفر للمتكلم العربي ما به يترجم له مقتضيات الحياة العصرية، إنما المشكل الأساسي في حقيقة الأمر يكمن في مدى نصيب المتكلم العربي من التجربة البشرية ومدى قدرتهم على التحكم فيما حصل منها وعلى المساهمة في إثرائها وهو كذلك في كيفية معالجتهم لهذه القضية حتى يتمكنوا من أن يظموا لأنفسهم اطلاعا متواصلا على ما يحدث في كل الميادين المعرفة أو بعبارة أخرى هو في اعتبار أنفسهم أطرافا في التجربة البشرية يأخذون منها كما يأخذ غيرهم ويبلغونها بلغتهم كما يبلغها غيرهم بلغته".[3] حيث تعودنا أنه حين نستعمل اللغة العربية كلغة في العلم والتقنيات الحديثة وفي أداء المفاهيم الحديثة بصفة أعّم أن نحتج لفائدتها بالقياس على ما حملته من معارف في عصور التاريخ العربي الإسلامي. وإن كان البحث في التاريخ ربما سيوقعنا في الاعتقاد بأن العصور متماثلة ولا فرق بين الأمس واليوم مما يحتم علينا الرضا بالواقع.

إذ لا فرق بين عصر النهضة وعصر فجر الإسلام، ففي كلتا الحالتين وجد المتكلم العربي نفسه أمام حضارات وثقافات ومعارف لم يكن يعرفها من قبل ولم تعهدها لغتهم ولم تنقلها ألسنتهم، مما أجبرهم على تحمل وتبني مكتسبات هذه الحضارات والثقافات والاستفادة منها باعتبار ما في فيها من تراث أو عمل إنساني مشترك، فقد دعوا في البداية إلى فهم تراث الأمم الأخرى من أجل دائما الغاية الأسمى وهي نشر الدين وإتمام الفتوحات. ومن ثم تأصيل ثقافتهم بتكييف العناصر الدخيلة عليها.

إلا أن الأمر مختلف اليوم عما كان في فجر الإسلام لأنه وبكل بساطة كانوا قوما فاتحين لديهم الثقة فيما يترتب عنه من القدرة على الإلمام بما أنتجه الفكر البشري والتحكم فيه وإثرائه والتقدم به أشواطا، فأقبلوا على ذلك مزودين بلغة وثبت بفضل القرآن الكريم وثبة ثقافية وحضارية منقطعة النظير. فتحولت من لغة شعر نطاقها ضيق، إلى لغة تسَعُة معاني ومفاهيم لم يكن لها ولا لأهلها بها عهد، بل تحمل من المضامين ما يتناقض أغلبه مع ما ألفته الألسنة من قبل، زيادة على هذا فإن اللغات

التي نقلت عنها هذه الثقافات قد اندثرت وحان وقت احتضارها في حين لم يكن للعربية منافس حقيقي يمكن ان يكون بديلا قادرا على أخذ مكان اللغة العربية. أما اليوم فالأمر ليس كذلك فنحن في حاجة إلى معاجم تظهر بصفة دورية بل سنوية لتكون بمثابة المرجع للذين يستعملون العربية.

أما فيما يتعلق بالمعاجم المتخصصة فإن بداياتها قديمة ولعل جمالية تراثنا المعجمي المختص أنه لم ينحصر في هيئة واحدة من هيئات أو أشكال المعجم المختص، بل نجدها متنوعة تنوع العلوم كالفهرست لابن النديم "ت 285هـ" الذي اختص في فنون العلوم المتعددة، وكذلك المعرّب للجواليقي "ت540 هـ" الذي اختص بالكلمات الأعجمية التي عرّبت، واللافت في هذا الشأن أن صانع المعجم العربي المختص لم يفرد لنا مؤلفا يبن في لنا نظريته في الصناعة المعجمية بل نجدهم يكتفون بشرح منهجهم في مقدمات معاجمهم، والسبب في ذلك أن الصناعة المعجمية ومبادئها العامة كانت مستقرة في أذهانهم مثلهم مثل واضع اللغة قديما. لكن مع ذلك فإن بعض الأسس في صناعة المعاجم المختصة تتفق مع ما ظهر في الأزمنة المعاصرة ومن بين هذه السمات نجد ذلك الاتفاق نوع المعجم، فالمعجم متعدد الحقول لم يندثر بل لا يزال موجودا وإن عده بعضهم ضمن التأليف الموسوعي، من ذلك الموسوعة الإسلامية "دائرة المعارف الإسلامية" لكن المعجمية المتخصصة المعاصرة لم تخرج مثل هذا النوع من التصنيف عن دائرة المعجمية، ولكن الذي تغير أنّ التعدد في الحقول ربما يكون ضمن مجال علمي واحد، فمثلا علم الطب أو الهندسة لم يعودا حقلا علميا واحدا وإنما تندرج تحتهما عدة حقول وكذلك سائر العلوم.

وهذا الأمر لا يزال موجودا في معاجمنا المعاصرة كما كان عليه الحال في المعاجم التراثية، مما يوحي بأن مصنفي المعاجم المختصة التراثية قد أبدعوا في وضع خطة محكمة لتصنيف المصطلحات وربطها بحقولها العلمية، وهذا ما نجده عند الخوارزمي في "مفاتيح العلوم".

والذي ينبغي الإشارة إليه في هذا أن المعاجم التراثية المختصة أن المعجم الذي يعد أوّل المعاجم المصنفة من حيث تاريخ ظهوره ضمن هذا النوع من المعاجم أي مفاتيح العلوم، حيث وفق صاحبه فيما تدعوا إليه المعجمية المعاصرة من جعل الحقول العلمية ومصطلحاتها متوازنة إلى حد بعيد وهذا ما لم نجده في مثل التعريفات للجرجاني.

إن ما ينبغي على صانع المعجم تحديده أولا هو لمن يوجه معجمه، وقد شبهوا عمل المعجمي بالمهندس المعماري الذي عليه معرفة الغرض من البناء حتى يعلم مستلزماتهن وهذا ما لم يتحقق في معاجمنا المعاصرة. ففي مقدمة مفاتيح العلوم يقول الخوارزمي:" وأحوج الناس إلى معرفة هذه الاصطلاحات الأديب اللطيف الذي يحقق أنّ علم اللغة آلة لدرك الفضيلة لا ينتفع به بذاته ما لم يُجعل سببا إلى تحصيل هذه

العلوم الجليلة، ولا يستغني عن عملها طبقات الكتاب لصدق حاجتهم إلى مطالعة فنون العلوم والآداب، وقد جمعت في هذا الكتاب أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع"[4] فالمستعمل الذي قصده الخوارزمي من معجمه هم الكتاب الذين كانت وظيفتهم تشبه وظيفة المستشار التربوي في أيامنا، حيث عليه الاطلاع على علوم عديدة وعلى مصطلحاتها لارتباطها بوظيفته.

2.2 المعاجم الموسوعية:

وقد اخترنا نموذجا لهذه الدراسة من المعاجم الموسوعية التي تهتم بتسجيل المعارف البشرية العامة. واخترنا نموذجا لهذا النوع من المعاجم ويتمثل في معجم تحليل الخطاب الذي ألفه كل من باتريكشارودو ودومنيك مانغنو وترجمة كل من عبدالقادر المهيري وحمّادي صمود، وهما تونسيان قاما بترجمة هذا المصنف عن اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. هذا المعجم الموسوعي هو معجم متخصص في تحليل الخطاب بشكل عام، ومصطلح تحليل الخطاب هنا مصطلح عام يقصد منه جميع الخطاب لا ما نعرفه عن مجال تحليل الخطاب الأدبي فقط...وهو معجم موسوعي لأسباب كثيرة منها أنه يضم مداخل كثيرة مع التوسع في التحليل.

إيراد كل مصطلح إلى نظريته.

إيراد وجهات النظر المختلفة حول مصطلح معين.

يمثل ثبتا مصطلحيا لكل من يريد تناول الخطاب أو بعض جوانبه مع التحليل والوصف ومناقشة وجهات النظر المختلفة حوله.

الإشارة في كثير من المداخل إلى صلة تحليل الخطاب بفنون أخرى وتخصصات متعددة كعلم النفس وعلم الاجتماع...كل هذه المسائل أشار إليها المترجمان من خلال المدخل الرئيس في المعجم مما يدل على ثراء مادة هذا المصنف.

إن الكلمة الشاهدة التي بها ينتظم تسلسل المفردات داخل الحقل المفهومي كثيرة جدا لدرجة أنه لا يمكن أن تكون هي العناصر الأساسية للمعجم، بحيث يجب بذل جهد منهجي كبير من أجل السعي نحو توحيد الفوارق، وذلك كله من اجل هذا اقترح تصنيف مجموع الكلمات المكونة للحقول المفهومية، بحيث أعطي للوحدة المعجمية المعبرة عن حقل معين اسم الكلمة المفتاح، Le mot clé، فالكلمة المفتاح لن تدلّ على معنى تجريدي أو وسيلة أو مادة، ولكن على كائن أو إحساس أو فكرة. من هذا المنطلق كانت طريقة التبويب في هذا المصنف.

1.3 طريقة التبويب في هذا المصنف.

بدأ المترجمان بوضع المعلومات الخاصة بالمؤلفين له وهما Patrick Charoudeauو Dominique Maingueneau

حافظ المترجمان على نظام النص المصدر في طرح المادة وذلك بوضع الحرف اللاتيني عنوانا لكل فصل ورسم المدخل بالحروف اللاتينية مقابل ترجمة له للعربية بداية بالترتيب الأجنبي بداية ب الحرف "A" وصولا إلى الحرف " V" ومثال ذلك من الصفحة 22 جاء فيها مصطلح عمل لغة غير مباشر[5] Acte de langage indirect

تتحقق الأعمال اللغوية لسانيا "بتجسمها"في أقوال لكن لا يوجد في هذه الحالة تطابق ثنائي بين دال ما (صيغة ملفوظ تصريحية أو استفهامية أو مرئية...ومن بين الملاحظات حول هذا المعجم اشتماله على شرح موسع للمصطلحات فمثلا مصطلح حجة Argument حجة [6]

إن كلمة حجة لم تصبح شائعة..."إلا أثناء القرن التاسع عشر...وهي مستعملة في ثلاثة مجالات بمعان مختلفة في المنطق تطابق مصطلحا تعيينيا وفي الأدب تعبر عن خطاب يلخص خطابا آخر، وفي البلاغة الحجاجية تحدد بأنها ملفوظ يضفي مشروعية إلى نتيجة. في المنطق تسمى بحجة وظيفية كل محل من المحلات الشاغرة أو المتغيرات...في الأدب تطابق حجة مسرحية أو رواية ترسيمة عقدتها أو تلخيصها أو الخيط الناظم لها...في البلاغة الحجاجية تقليديا بين ثلاثة أنماط من الحجج أو البيئات...ثم الحجة تستعمل أحيانا في معنى الحجاج وتنتمي إلى نفس الأسرة المفهومية.[7] ومن الملاحظات أيضا على هذا المعجم أنه قد تتعدد معاني المصطلح الواحد باختلاف المستعملين لهذا المصطلح أو ذاك، ومن ذلك مثلا مصطلح Contexteبحيث أنه كما يدل على السياق يدل أيضا على المقام...[8] ومن الملاحظات أيضا أن عددا من المصطلحات يتعذر ترجمتها بمفردة واحدة كونها تدخل ضمن التعابير الاصطلاحية. وما يلاحظ أيضا على هذا المعجم أنه دائما ترفق الترجمة بحواش إضافية والغاية من وراء ذلك تتمثل في مايلي: توضيح ما جاء في النص. ترجمة حرفية عند استعمال أمثلة من الفرنسية مثل:

Archéologique أركيولوجي (تحليل) Analyse

"بلغ مشروع تحليل الخطاب عند ميشال فوكو شأوه النظري بظهور مؤلفه" أركيولوجيا المعرفية" 1969م

وكتب فوكو في مقدمة هذا الكتاب قائلا: "إنّ الوقت حان ليكتب الأعمال التي لم تزد في مؤلفاته السابقة على رسم معالمها انسجاما " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" 1962م[9]

ومن بين ما يقدمه هذا المعجم للقارئ المتخصص في تحليل الخطاب نبذة تاريخية عن كل مصطلح ومثال ذلك من الصفحة 30 في مادة تحيين Actualisation" مفهوم ظهر عند شارل بالي و(غ غيوم) فيما بين الحربين وهو شديد الصلة بمفهوم الخطاب

بما أنه يستعمل ليشير إلى تحويل النظام اللغوي في كل عملية تكلم إلى ملفوظ مخصوص إلا أنّ قيمته تبقى غير ثابتة...[10]

إعطاء أولوية للمصطلحات التي لم تذكرها الموسوعات السابقة هو من بين ما يميز هذا المعجم، بالإضافة إلى الاهتمام بالمصطلحات الضرورية للأبحاث التي تهتم على الخصوص بتحليل الخطاب ومن ذلك مثلا مصطلح معانديّ Eristique يدل النعت Eristique في الإغريقية على من يحب الخصام والنقاش والمناظرة ويشير في النظرية الأرسطية إلى شكل غير منتج من القياس.[11] ومن بين ما يتميز به هذا المعجم إدراجه لنظام الإحالة الداخلي باستعمال الرمز هذا الاستعمال لا يطرد في كل الصفحات. وبوجه عام فإن تقسيم المصطلحات في هذا المعجم تتجلى في مجموعتين وهما ك الآتي:

المجموعة الأولى: وتشمل الأهم إلى حد بعيد وهي التي تتناول المصطلحات التي ظهرت في العقود الأخيرة والتي تخص مجال تحليل الخطاب وأهم النظريات التي ظهرت...مثل أدوار الكلام، الفعل اللغوي، فعل مباشر...

المجموعة الثانية: وتتكون من المصطلحات التي برزت ضمن إشكاليات أو ضمن فنون مجاورة "وجوه البلاغة، حجة، رابط حجاجي...مع معالجتها ضمن موضوع المعجم العام الذي يتمثل في تحليل الخطاب.

ومما لا شك فيه بعد هذا العرض المقتضب أن الحقول العلمية في المعجم المختص المعاصر لم تعد محدودة بالعدد نفسه الذي ذكر في المعاجم العربية المختصة، بل إن العدد قد يزيد إلى عشرين ألف حقل علمي، ولا يقف الاختلاف في الحقول العلمية، بل إن ما تحتويه المعاجم المعاصرة في زمننا من مصطلحات يفوق المعاجم القديمة جدا، حتى إن الدول صار عندها ما يطلق عليه في زمننا اسم البنوك "بنوك المصطلحات" حيث يحوي بنك المصطلحات لدول الاتحاد الأوربي على خمسة ملايين مصطلح مرفوقا بتعريفها وسياقات ورودها. كما يعد الجمع أول الأسس التي يعتمدها صانع المعجم، ولا يتأتى له ذلك إلا بسعة الاطلاع وعمق التفكير، بحيث يستوعب هيكل المعجم الذي ينوي عمله، لأن المعجم عبارة عن قدرة صانع ماهر متمكن من حرفته في الربط بين معلومات متناثرة في مراجع عديدة ثم ضمّها جميعا بشكل متسلسل يناسب الغاية من تصنيف المعجم، ويتفق مع الذين سيوجه إليهم، وأولى الخطوات في تحقيق ذلك تحديد المدونة التي تحقق له بغيته المنشودة، وفي هذا يقول إبراهيم ابن مراد" تكوين المدونة التي يشتمل عليها المعجم وتتفرع عنه مسألتان توجهان عمل جامع المدونة أولاهما مسألة المصادر وثانيتهما المستويات اللغوية"[12]

2.3 نقل المفاهيم:

إن المنهج المتبع من خلال ما سبق دراسته، فإنّ المقارنة النسقية أساسا وعلى المعالجة الإيبستمولوجية التي تتطلب الإمساك بالوضعية الإيبستملوجية للنسق المصدر للمفهوم، والنسق الهدف الذي يشغل ذلك المفهوم، لأن مفاهيم الأنساق الأدبية خاصة ما تعلق منها بمصطلحات تحليل الخطاب والنقد فهي غربية تعرضت لكثير من التحولات والتشكلات التي قد لا تكتسب تداولا سريعا أو سليما في النسق الأدبي العربي، بحكم ضعف النشاط الترجمي عندنا، ثمّ إنّ الباحث الأدبي لا يعمد إلى الترجمة المكتوبة غالبا، بل يعتمد إلى النقل المباشر وممارسة التأويل في آن واحد. إن صعوبة الترجمة خاصة فيما يتعلق بنقل المصطلح وترجمته من لغات أخرى إلى العربية، وقد تجلى ذلك في جهود النقاد وغيرهم من علماء اللغة والمهتمين بالترجمة قديما وحديثا، ولا شك أن المشكلة تبدو أشدّ اضطرابا وتعقيدا في العصر الحديث، على الرغم مما للترجمة من دور وأهمية في إغناء المصطلح النقدي وما يتعلق بتحليل الخطاب خاصة، وتنميته. مما يستدعي النهوض بعملية صناعة المعاجم العربية وخاصة المتعلقة بالمصطلحات العلمية، ولا يتحقق هذا إلا بإعادة النظر وقراءة المدونات القديمة من أجل التنقيب في التراث المليء بالمصطلحات والألفاظ ذات المفاهيم المختلفة، وعدم الاكتفاء بالترجمة اللفظية أو اللجوء على التعريب مباشرة.كثيرا ما تقتضي ممارسة الترجمة معرفة مناسبة بالمستويات التركيبية والدلالية المرجعية في اللغة الطبيعية، وأيضا معرفة بأصناف الحدود العامة والمفردة والحسية والمجرّدة، وبمختلف مجالات قيمها في اللغة الهدف واللغة الأصل، بحيث تتجنب هذه المعرفة التصور المتوازي بين المنطوق والمعقول بناء على خاصية الاقتصاد اللغوي، فكما أنّنا نكون من أصوات محدودة عددا لا محدودا من الكلمات، كذلك نكون من أنماط محدودة من الجمل عددا لا محدودا من الدلالات الجديدةّ، إذ يمكننا الاقتصاد من استثمار صوتي ودلالي غير محدود لقاموس لغوي جد محدود، وهذا ما يستنتج بأننا كلما جدّت أوضاع تداولية استعملنا فعل القول نفسه للإحالة إلى دلالات جديدة[13]، كما أننا نستثمر نفس الألفاظ بل ونفس المعاني لتقريب معرفة جديدة، وقد نستثمر نفس الألفاظ ونفس المعاني زاعمين اكتشاف معرفة جديدة. إن الخصائص من مكونات النحو العام للغات يجب أن يراعي المترجم مستويات الإحالة المختلفة اعتمادا على معجم جد محدود فعليا، بحيث يجب أن يراعي المترجم في اللغتين الأسلوب الوصفي الذي يأخذ بعين الاعتبار دائرة الفهم لدى متكلّمي اللغة الواحدة، كما أنّ بنية الكثافة التي تأخذ بعين الاعتبار خاصية الجمال وخاصيتي الوضوح والإيجاز في الأدوات اللغوية، كما أنّ صيرورة النقل التي تمثّل أسلوب نمو اللغة وتفتحها تكوينيا على معاني ودلالات متجددة طبقا لتوسع دائرة المعرفة، مع الانتباه إلى أن وجه الشبه بين دلالة جديدة والمعنى القديم ذو صلة بملكة الخيال وليس بخصائص منطقية أو حسية تصل

بينهما. فالمترجم لا ينطلق من منظور تركيبي تحليلي للغة، بل من بنيات دلالية مركّبة قائمة على المعاني الوصفية والكثافة وصيرورة النقل بحيث لا يركب المعاني بعضها إلى بعض لاستخلاص دلالة البنية، بل يجب السعي نحو تقديم مواضعات وقواعد قصد تبين نفس الدلالات في اللغة الهدف، كما هو الحال في اللغة الأصل، من هنا تتبدّى المعضلة الأساسية في معرفة متى يكون على المترجم الانطلاق من الألفاظ إلى المعاني ومن الدال إلى المدلول، ومتى يكون عليه الانطلاق من الألفاظ والمعاني بصفتها رموزا دالّة للإحالة على دلالات جديدة، ولعلّ النجاح في أيّ اختيار مرهون بالبديهيات التحليلية المتكونة لدى المترجم، مقابل الحقل المعرفي للغتين الهدف والأصل، وبطبيعة المواضعات والقواعد لدى المترجم. وإذا اعتبرنا أنّ كل ترجمة تأويل او خيانة، استنادا بالضبط إلى تلك المواضعات والقواعد التي نترجم من خلالها نصوص اللغة الأصل، والحق أنا لو اعتمدنا الموقف الثالث في جنوحه المتطرف، لانعدمت إمكانيتا الفهم والتواصل اللتان تسبقان عملية الترجمة في حدّ ذاتها، إذ أنّ إمكانية الفهم تقوم على نقل المعاني من مستوى صوتي إلى مستويات مجرّدة من درجات مختلفة ومتفاوتة، وتقوم إمكانية الترجمة على وصل مستوى من المستويات المتفاوتة بتجسيد صوتي ضمن نظام صوتي معين، من هنا فإنّ منهج الترجمة إذا كان يستهدف نقل المعاني من مستوى صوتي إلى مستوى صوتي آخر، فهو أحد مناهج الفهم التي تعنى بالانتقال من العبارات إلى تعميم أو تمثيل وُجوديين أو من عبارات غير محللة إلى أخرى محلّلة أو مرادفات وصفية لها طبقا لقواعد معيّنة. كثيرا ما يصطدم الباحث بإشكالية الترجمة وذلك في كل المجالات والميادين، خاصة في الدراسات النقدية واللسانية باعتبار كثير من المصطلحات في هذين المجالين أتتنا من الغرب، وكثيرا ما تكون الترجمة سببا أساسيا في القراءة السيئة والفهم الخاطئ للأفكار والممارسات، فتكون بذلك أصلا في تكوين كثير من الاستدلالات الفاسدة والتفسيرات والتأويلات الباطلة، فكثير من المجادلات والمناظرات كانت بسبب الترجمات، فالدارس الآخذ بتصور إيبستملوجي تجريبي يسقط على النص المترجم أو اللفظة المترجمة، مسلّمات ذلك التصور سواء كانت صريحة أم مضمرة، وكذا الباحث الآخذ بالتصور العقلاني فإنه يفهم النص المترجم طبقا لما تمليه عليه مسلمات ذلك التصور المصرح به وغير المصرح به.

إنّ مفهومي التصرف والنقل وتطبيقهما على عملية الترجمة ليس من عمل المترجم وحده، لأن التصرف يتجلى حين يقرر المترجم التدخل الفكري في ما يترجم، أمّا النقل فيقع عندما يقدم المترجم ترجمة أمينة، إذ من هنا يأتي الخلط بين عملية إنتاج المصطلحات في اللغة المصدر، Source Language وعملية الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، Target Language، فهنا يحصل مدح نحو التصرف

الذي قام به المترجم، لكن يعاب عليه في المصطلحات المفهومية، من هنا فإن المترجم مخير بين التصرف والنقل. علما أن تجميع المادة المعجمية الاصطلاحية انطلق أساسا من المؤلفات اللسانية النصية التي تناولت القضايا النصية ووسائل الخطاب في ضوء اللسانيات الحديثة، سواء تلك المهتمة بالمصطلح وضعا وترجمة أو تلك الدراسات الشارحة لأمهات النظريات اللسانية والنصيّة، وتطبيقاتها في العربية لأغراض نقدية وتعليمية، كما تنوعت المؤلفات فمنها العربي وهو الأساسي لحاجتنا إليه، ومنها الفرنسي والإنجليزي في سياق مراجعة بعض المفاهيم إذ الغاية كما سبق الذكر، استقراء المصطلح في الدرس اللساني العربي مبدئيا على أن يتمّ التوسع إذا توافرت الإمكانات لذلك.[14] وكثيرا ما يربط المتخصصون في اللغة العربية مستقبلها بما يسمى بالمعيارية العلمية، التي تتمثل في المدونة اللغوية العربية الشاملة للإرث الحضاري للأمة العربية، والموضوعية العلمية تأبى أن يستهين الباحث بأثر هذه المدونة في حياة اللغة العربية، مما يجعله متفائلا بديمومة هذه اللغة، على أنّ الإخلاص لهذه اللغة ولما تحمله من رسالة، والإيمان العلمي بقدرتها على الحياة، وعلى استيعاب ما يستجدّ في مختلف ميادينها يجعلان المرء يطمع في أن يرفد السند الديني والقومي والحضاري للغة العربية[15]، وذلك لا يكون إلا بنهضة علمية شاملة تقوم على تعريب مختلف العلوم لتوطئتها وهضمها وتمثلها، والإسهام في تطويرها، ولا يكون ذلك إلا إلا بالتخطيط اللغوي الشامل المتكامل.

4- خاتمة:

ممّا تقد يتبين لنا أن ترجمة المصطلحات سواء في تحليل الخطاب أو في الآداب والفنون عامة تتطلب تدقيقا وتحديدا وقوانين تجعل هذه المجالات في منأى عن الإبهام والغموض الذي ربما سيشكل عائقا آخر لدى المتلقي والباحث، إن اللغة الواجب استخدامها في هذه المجالات لابد أن تكون مرنة لتتمكن من التعبير عن تلك المفاهيم المختلفة، خاصة التي ترد على شكل تعابيرَ اصطلاحية، لأن خصائصها مميزة عن الألفاظ المستقلة، التي يمكن التعبير عنها بواسطة المجاز وغيره من الأساليب التي تتوفر عليها العربية، كما يجب على المترجم لهذه المصطلحات أن يكون متضلعا في اللغة الهدف كما في اللغة الأصل، من حيث أصولهما وأسرارهما، وأن يكون عارفا بما كان يتبعه العرب قديما في مختلف عصورهم التعبيرية من طرائق ووسائل لاستخدام ما في اللغة العربية الفصيحة من ثروة لفظية، ومرونة تعبيرية فائقة، في حين أن الترجمة والتعريب وغيرهما يحتاج من يخوض فيها إلى معرفة طرائق تحديد المعاني تحديدا دقيقا. فليس على المترجم الفني إلا أن يقدر المعنى الفني الدقيق والصحيح للمدلول العلمي المعين، ويضع لفظا عربيا مناسبا لذلك المدلول العلمي الأجنبي سواء عن طريق الاشتقاق أو النقل أو النحت أو التوليد...وهنا يبرز الدور

الضروري الذي على عاتق المجامع اللغوية العربية في مساعدة اهل العلم في تحديد تلك المصطلحات، لأن العمل هنا لا يمكن أن يقوم به واحد، وعلى أعضاء هذه المجامع ضبط هذه المصطلحات وتصحيحها وتهذيبها وإقرارها...لذلك فإن دور المجامع اللغوية اليوم أكثر انحصارا وتركيزا على الترجمة والتعريب الفني لحاجتنا الماسّة إليه.

الهوامش:

[1]أول من استخدم الرسوم التوضيحية في قاموس اللغة هو نشوان بن سعيد الحميري بكتابه شمس العلوم عند شرحه لمدخل مسند ثم الفيروز أبادي في القاموس المحيط في تعريف لفظ "قرق" وهو لعبة ولفظ "عقلة في اصطلاح حساب الرمل.

[2]وذلك مقارنة بالقاموس Petit la Robert طبعة 1973 خمسين ألف كلمة وفي قاموس Petit La rousse طبعة 1995، حولي 84500 كلمة أو مدخل.

[3] عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي،دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993، ص156

[4]الخوارزمي محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم، دار الكتاب العربي الطبعة الثانية 2010م، ص04

[5] باتريك شارودو ودومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 22 وما بعدها

[6] نفسه، ص 66 وما بعدها.

[7] المرجع السابق، ص68.

[8] نفسه، ص 133

[9] المرجع نفسه، ص56.

[10] نفسه ص30.

[11] المرجع السابق ص 225.

[12] إبراهيم بن مراد، أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبية، ص25،24.

[13] بناني عز العرب الحكيم، في منهج الترجمة ومنهج الفهم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط01، 1995، ص11

14بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، 2009، ط01، ص.07.

15 فلفل محمد عبدو، أضواء على المشكلة اللغوية العربية، سلسلة الدراسات11، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2013، ص26.

قائمة المراجع:

1. بن مراد إبراهيم ، أسس المعجم العلمي المختص في الشذور الذهبية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.
2. شارودو باتريك، منغنو دومنيك معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبدالقادر المهيري وحمّادي صمّود، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
3. الخوارزمي محمد بن أحمد، مفاتيح العلوم،دار الكتاب العربي الطبعة الثانية، 2010م.
4. عباس عبد الحليم عباس، المصطلح النقدي والصناعة المعجمية دراسة في المعاجم المصطلحية وإشكالاتها المنهجية. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة 01، 2015.
5. المهيري عبد القادر ، نظرات في التراث اللغوي العربي،دار الغرب الإسلامي،، الطبعة الأولى، 1993م.
6. منتصر أمين عبد الرحيم وحافظ إسماعيلي علوي، المعجمية العربية قضايا وآفاق، سلسلة المعرفة اللسانية، ج01 الطبعة الأولى 2014.
7. بناني عز العرب الحكيم، في منهج الترجمة ومنهج الفهم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط01، 1995.
8. 15بوقرة نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، عالم الكتب الحديث، عمان الأردن، 2009، ط01.
9. 15 فلفل محمد عبدو، أضواء على المشكلة اللغوية العربية، سلسلة الدراسات11، اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2013.